تحليل الجذور الثلاثية في معجم المقاييس على ضوء نظرية الاشتقاق الأكبر لابن جنّي

دراسة تحليلية في جذري (الحاء والدال والرّاء)، و(الخاء والدال والرّاء)

أ. المختار عبدالله عبدالسلاَّق الكيك ـ كُليّة الآداب ـ الجوش ـ جامعة الزنتان

مُقدّمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ثم أما بعد:

فالاشتقاقُ يُعدّ مِن أشرف علوم العربية وأدقِّها، وعليه مدارُ علم التصريف في معرفة الأصلي والزائد، وفي معرفة الأفعال والأسماء ، وهو من أهم ما تتميز به اللُّغة العربية ؛ حيث إنه الركيزةُ الأساسيّة لنمو اللُّغة ورقيها ، لذلك اهتم الدرس اللُّغوي بالاشتقاق، وبما أن اللُّغةَ العربيةَ هي المصدرُ المُوصّلُ إلى التفاهم بين المتخاطبين ، والسبيلُ المُؤدّي إلى تسهل عملية التواصل القائم على الفهم السليم للمعنى المعبِّر عن حاجات الإنسان المتجددة ؛ لذلك بحث الإنسان عن وسائلَ وكيفيات في اللُّغة تُعينه على التعبير عن حاجاته ، فكان الاشتقاقُ في مقدمة تلك الوسائل المعينة على التعبير عن طريق التوسُّع في الأداء اللُّغوي، وقد كان ابن فارس توفي سنة (395هـ) (1)، في مقدمة العلماء الذين وظّفوا دراسة الاشتقاق في بيان العلاقات الدلالية بين الألفاظ ، فبنى مُعجمه على فكرة الأصل الدلالي الذي تدور حوله كُلُّ مشتقاته وترتبط به دلاليا.

هذا ويُعدُّ ابنُ جنّي توفي سنة (392هـ) (2) أوَّلَ من تبصَّر إلى وُجود جنسٍ آخرَ للاشتقاق غير الذي هو شائعٌ لدى الناس ، وقسّمه إلى أربعة أقسام : اشتقاق صغير، واشتقاق كبير، واشتقاق أكبر، والاشتقاق الكُبَّار، وموضوع هذا البحث هو الاشتقاقُ الأكبر، حيثُ تناولَ البحثُ تحليلَ الجذور الثلاثية في المقاييس على ضوء نظرية الاشتقاق الأكبر لابن جنيّ.

وقد بُنيت فكرة الأصول في معجم المقاييس على تصنيف الجذور دلاليا تحت مسمى الأصل، وتعددت هذه الأصول في المقاييس فكان منها ماله أصل واحد، ومنها ماله أصلان، ومنها ماله ثلاثة أصول، ومنها ماله أربعة أصول، ومنها ماله خمسة أصول، وقد توخّى ابن فارس الدقّة في وضع دلالة تلك الأصول، في حين تناول ابن جنيّ بعضَ تلك الأصول بالتحليل، وبيانِ تراكيبها المُختلفة.

تساؤلات البحث:

1. ما هو مفهوم الاشتقاق الأكبر عند ابن جنّي.
2. هل تمكّن ابن جنّي من تطبيق نظرية الاشتقاق الأكبر على الجذور الثلاثية.
3. ما الذي أضافه ابن جنّي في تطبيق نظريته.

أهمية البحث :

تتمثل أهمية البحث في أن ابن جنّي أوّل من تناول الاشتقاق الأكبر وقام بتطبيق نظريته على الجذور الثلاثية، ومن ثَمَّ الوقوفُ على طريقة تطبيقه لهذه النظرية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

1. مفهوم الاشتقاق عند كل من ابن فارس وابن جنّي ، وبيان أهمية الاشتقاق الدلالي.
2. الكشف عن طريقة ابن جنّي في تطبيقه لنظرية الاشتقاق الأكبر في تحليل الجذور الثلاثية.

حدود البحث:

سيقتصر هذا البحث على جذرين من الجذور الثلاثية في معجم المقاييس، ومن ثَمّ تطبيق نظرية التقاليب الستة التي اخترعها ابن جنّي على هذين الجذرين.

الدراسات السابقة :

بمجرّد البحث السريع الذي قمت به، فإنه لم يظهر لي أن أحدا قام بالبحث في هذا الموضوع خصوصا.

المنهـــــج المستخدم:

وأما المنهج المستخدم في هذا البحث فهو المنهج الوصفي الذي يعتمد على المتابعة والاستقراء والتحليل.

تمهيد :

الاشتقاق لغة : هو أخذ شيء من غيره مطلقا، سواء دل على ذات وحدث معا أم لا(3).

واصطلاحًا: هو استحداث كلمة، أخذًا من كلمة أخرى؛ للتعبير بها عن معنى جديد يناسب المعنى الحرفي للكلمة المأخوذ منها، أو عن معنى قالبي جديد للمعنى الحرفي، مع التماثل بين الكلمتين في أحرفهما الأصلية وترتيبها فيهما(4).

وهو أنواع أربعة :

1- **الاشتقاق الصغير** : وهو أخذ كلمة من أخرى متفقة معها في ثلاثة أشياء :في أصل المعنى، والحروف، والترتيب، مثل: علم: عالم، عليم، علامة، وهذا النوع أشهر أنواع الاشتقاق.

2- **الاشتقاق الكبير:** وهو اشتقاق كلمة من أخـــرى مع اتفاقهما في المعنى والحروف الأصلية، دون ترتيب، مثل: رجب، بجر، جبر.

3- **الاشتقاق الأكبر**: وهو اشتقاق كلمة من أخـــرى مع اتفاقها في المعنى فقط ، مثل: هدل الحمام ، وهدر.

4- الاشتقاق الكُبَّار: (النحت): وهو أن تُشتـــق كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر تدل على المعنى نفسه الموجود في الكلمتين أو الجملة، مثل : بسمل في قولك: بسم الله الرحمن الرحيم، وحمدل من قولك : الحمد لله.

وهذا البحث مُقتصرٌ على الاشتقاق الأكبر، حيث تناول تحليل الجذور الثلاثية في معجم مقاييس اللُّغة في بابي (الحاء والدال والرّاء)، و(الخاء والدال والرّاء)، على ضوء نظرية الاشتقاق الأكبر عند ابن جنّي.

المحور الأوّل ـ مفهوم الاشتقاق عند ابن جنّـــي وابن فارس :

أولا ـ مفهوم الاشتقاق عند ابن جنّي : بيّن ابن جنّي مفهوم الاشتقاق فقال: " الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقرّاه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه... فهذا هو الاشتقاق الأصغر. وأمّا الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد على تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه "(5).

ثانيا ـ مفهوم الاشتقاق عند ابن فارس : يقول ابن فارس في مفهوم الاشتقاق: الشين والقاف

أصل واحد صحيح، يدلُّ على انصداع في الشيء ، ثم يُحمل عليه، ويشتق منه على معنى الاستعارة، تقول: شققت الشيء أشقه شقًّا، إذا صدعته، وبيده شقوق، وبالدابَّة شقاق، والأصل واحد(6).

تعريفُ الاشتقاق الأكبر: يعدّ الاشتقاق الأكبر عند ابن جني الصنف الثاني لعملية الاشتقاق اللُّغوي؛ إذ لم يؤثر هذا الصنف عن أحد غيره من علماء اللُّغة سواء كان في مصنفاتهم التخصصية أم فيما نُقِل عنهم من قول، وقد ذكر ابنُ جني نفسُه أن أستاذَه أبا

علي الفارسي كان يركن إليه أحياناً عند مساس الحاجة إليه، غير أنه لم يؤصِّله ولم يضعه تحت مصطلح معين، يقول ابن جنيّ مُعرّفا الاشتقاق الأكبر: (وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتَعقِد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيءٌ من ذلك عنه رُدَّ بِلُطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك(7) في التركيب الواحد)(8).

وقد عرّفه العلماء بأنه: "ما اتحد فيه المشتق والمشتق منه في بعض الحروف واختلفا في الباقي، وكان المختلف فيه متحدًا مخرجًا أو صفة "(9)، وذلك مثل: سد وصد، والقصم والقسم، والنضح والنضخ، وقطع وقطف، وقطل وقطم.

ويُعتبر الاشتقاق الأكبر أحد الأبواب الرئيسية المهمة في تعيين معيارية الدلالة عند ابن جنّي، حيث وضع من خلاله قاعدة دلالية تقوم على ترتيب الجذور تحت أصل دلالي واحد، وتظهر أهمية هذه النظرية في الصناعة المعجمية عن طريق بناء معيار دلالي يُرجع إليه في الحكم على الدلالة وقياسها عند تعذّر السماع، بَيْدَ أن مشكلة الاشتقاق الأكبر لا تكمن في القاعدة نفسها وإنما في تطبيقها؛ وذلك لأن ابن جنّي لم يستشهد عليها بكُل الجذور، وإنما اكتفى بخمسة جذور وتقلباتها، فطبّق عليها قاعدة الاشتقاق الأكبر، وهذه الجذور هي: (ق و ل)، (ك ل م)، (ج ب ر)، ق س و)، (س م ل)(10).

وفي هذا البحث القصير سيقوم الباحث بتطبيق نظرية التقاليب الستة التي اخترعها ابن جنّي على جذرين من الجذور الثلاثية في معجم المقاييس، ومن ثَمّ النظر في تقاليب هذه الجذور وما تأتي به من معنى، وهل يتوافق مع ما قاله ابن جنّي؟ أم أن هناك تعارضا وتباينا في نظرية التقاليب.

المحـــــور الثانـــــي ـ تحليل الجـــــذور الثلاثيـــــة :

أولا ـ الجذر (ح د ر) وتقلباته. من الجذور الثلاثية التي لها أصلان في المقاييس الجذر (ح د ر). قال ابن فارس: (حدر) الحاء والدال والراء أصلان: الهبوط، والامتلاء. فالأوّل حدرتُ الشيءَ إذا أنزلتَه. والحُدور فعل الحادر، والحَدور المكان تنحدرُ منه.

والأصل الثاني قولهم للشيء الممتلىء حادر. يقال: عينٌ حَدْرةٌ بَدْرةٌ: ممتلئةٌ. وناقةٌ حادرة العينين إذا امتلأتا. وسُمّيت حدراءَ لذلك(11).

وإذا تتبّعنا تقاليب هذا الجذر وجدنا المستعمَلَ منها أربعةَ تقاليب، والمهملَ منها اثنان، فالمستعملُ منها: (حدر)، و(حرد)، و(درح)، و(دحر)، و(ردح)، وإذا نظرنا في هذه

التقاليب وجدنا معناها إمّا نفس المعنى الأوّل للأصل وهو (الهبوط والنزول) وإمّا قريب من ذلك.

التقليب الأول ـ (حرد): الحرود هو النزول من أعلى إلى أسفل، وهذا يعني الاستقرارُ في مكان معين، فالشيء إذا نزل من أعلى إلى أسفل فإنه يثبُت ويستقرّ في مكان معين. يُقال: حرد حرودا. تنحّى واعتزل: تحوّل عن قومه تاركا لهم ونزل منفردا، فهو حرِدٌ(12).

التقليب الثاني ـ (د ح ر): المعنى القريب من الأصل لـ (د ح ر) هو الدفع من أعلى إلى أسفل، وهذا يقتضي النزول في مكان معين، فإذا دفعت شيئا ما فإنه يستقر في مكان معين، وعلى هذا يكون (الدحر) في أحد معانيه هو النزول والاستقرار في مكان معين. يُقال: دحره من أعلى الجبل: دفعه(13). قال الأزهري: الدحر: تبعيد الشيء عن الشيء(14).

التقليب الثالث ـ (د ر ح): من أحد المعاني التي يحملها تركيب (درح) هو الدفع، فقد جاء في القاموس المحيط: درح: دفع(15)، وفي المعجم الرائد: درحه: دفعه(16).

والدفع كما ذكرنا سابقا يقتضي النزول والاستقرار في مكان معين، وعلى هذا يكون التقاليب الأربعة لجذر (حدر) لها معان متشابهة، فكل منها يدلّ على النزول والاستقرار في مكان معين إضافة إلى معانيها الأخرى التي تحملها.

ثانيا ـ الجذر (خ د ر) وتقلّباته : من الجذور الثلاثية التي في المقاييس الجذر (خ د ر)، وإذا تتبعنا لفظة (خدر) في اللُّغة العربية وجدنا أن لها أصلين متباينين هما: الظُّلمة والسَّترُ، والبطء والإقامة. ثم إذا تتبّعنا تقاليب هذا الجذر وجدنا المستعمل منها ثلاثة هي: خدر، خرد، دخر، والمتروك منها ثلاثة.

والمتأمل في المستعمل من هذه التقاليب يلاحظ أنها قريبة في المعنى. فإذا نظرنا في الأصل الأوّل وهو كلمة (خدر) وجدنا أن أحد معنييها هو السّتر.

التقليب الأوّل ـ خدر : قال ابن فارس: (خدر) الخاء والدال والراء أصلان: الظُّلمةُ والسَّتر، والبطء والإقامة. فيقال: الخُداريُّ: الليلُ المظلم. والخُداريّةُ: العُقابُ، للونها(17).

فالأصلُ الأوّل يدلّ على الظُّلمة والسَّتر، وهناك شواهد من كلام العرب على ذلك، قال سلمة بن الخرشب الأنماري:

خُداريةٌ فتخاء ألثَقَ ريشها سحابةُ يوم ذي أهاضيب ماطرِ.

ويقال كذلك: يومٌ خدرٌ إذا أظلّه السحابُ، وليلةٌ خدرةٌ إذا اشتدّ ظلامها ونزل فيها المطر. ويقال كذلك: أخدرْنا، إذا أظلّنا المطر.

ومن هذا الباب، الخدرُ للمرأة، وهو سترٌ يُمدّ للمرأة في ناحية البيت ليحجِب ما وراءه.

التقليب الثاني ـ (خرد): ومُصان عنه، قال ابن فارس: (خرد)، الخاء والراء والدال أصل واحد، وهو صون الشيء عن المسيس. فالجاريةُ الخريدةُ هي التي لم تُمسّ قطُّ. وحكى ابن الأعرابي: لُؤلُؤةٌ خريدةٌ: لم تُثقب. قال: وكُلُّ عذراء فهي خريدةٌ. وجاريةٌ خرودٌ: خفِرةٌ؛ وهي من الباب. قال ابن الأعرابي: أخرد الرجُلُ: إذا أقلَّ كلامَه. يقال: مالَكَ مُخرِدا. وهو قياسُ ما ذكرناه؛ لأن في ذلك صونَ الكلام واللّسان(18).

فصونُ الشيء عن المسيس هو سَترٌ له، وحمايةٌ له، وعليه يُمكن أن يُقال: أن (خدر) و (خرد) بمعنى واحد وهو سَترُ الشيء وصونه.

التقليب الثالث ـ (دخر): هذا التقليب شذَّ عن أصله وجاء مُخالفا له، فلم يُؤد نفس المعنيين السابقين، حيث إن (الدخر) يدلّ على الذّلّ، قال ابن فارس:

(دخر) الدال والخاء والراء أصلٌ يدلّ على الذلّ. يقال: دخر الرجل، وهو داخرٌ، إذا ذلَّ. وأدخرَهُ غيرُه: أذلّه(19).

وقيل : الدِّخدار هو ثوب أبيض مصون لم يُلبس؛ وقيل ثوب أسود؛ وقد جاء في الشعر القديم؛ قال الكميت يصف سحابًا:

تجلو البـــوارق عنه صفـــح دخدار.

وقال عدى بن زيد:

تلوحُ المَشْرفيَّةُ في ذراه ويجلو صَفْح دخدارٍ قشيب(20).

قال الجواليقي: ذكر صاحبُ القاموس معنى آخر للدخدار وهو الذّهب ، ولم يذكره أحدٌ غيره. وعلله الزبيدي بقوله: لصيانته في التخوت. وذكر فعلا مُشتقا منه وقال: دَخْدرَ القُرطَ ، أيّ: ذهّبه(21).

وعلى هذا يمكن القول أن التقليب (دخـــر) يتضمّن- إضافة إلى معناه الأصلي - معنى السَّتر والصون؛ وذلك لإطلاق لفظ (الدخر) على التخت الذي يُصان فيه الذهب؛ وكذلك لإطلاقه على القِرط المُذهّب ؛ لأنّ الشيء إذا ذُهّب وطُلي بالذهب فإنه يُصان من الخَلِقِ والبِلى.

وبهذا يُقال: إن لفظ (دخـــر) رُدّ معناه بلُطف الصنعة والتأويل- كما ذكر ابن جنّي- إلى المعنى الذي دلّ عليه أصل الكلمة وهو (خدر) الذي يدلُّ على السَّتر.

الخاتمـــــة:

وختاما يُمكن القول أنه بعد البحث وتتبُّع بعض الجذور الثلاثية وتقاليبها تبيّن أن نظرية ابن جنّي التي اخترعها على هذه التقاليب قد تكون صادقة في أغلب الأحيان، وإن شذّ شيء من هذه التقاليب فإنه إما أن يُردّ بلطف الصنعة والتأويل للمعنى الأصلي ، وإمّا أن يبقى على شذوذه ولكن ليس في كل التقاليب ، وإنما في بعضها، أي أنه في الأغلب أن تتحد كل التقاليب فتؤدى نفس المعنى الذي يؤديه الجذر الأصلي، وهذا من مرونة اللُّغة العربية وجمالها.

النتائـــــج:

من خلال البحث والدراسة تبيّن الآتي:

1. يمكن القول أن ابن جنّي قد أبدع غاية الإبداع في اختراع نظرية التقاليب الستة للجذور الثلاثية، حيث إن أغلبها مطابق تمام المطابقة من حيث أداء نفس المعنى، وهذا ما نصّ عليه ابن جنّي.
2. ليس كُلّ التقاليب مستعمل في كلام العرب، فمنها المستعمل ومنها المتروك أو المهمل.
3. قد يوجد في بعض التقاليب للجذر الواحد مخالفة للمعنى الأصلي ، وهذه المخالفة منها ما يمكن ردُّه بحسن التأويل ولُطف الصنعة، ومنها ما لا يمكن ردُّه للمعنى الأصلي، وإن حصل ذلك فهو من الشذوذ اللُّغويّ.

التوصيات:

يوصي الباحث من الإكثار من دراسة الجذور الثلاثية على ضوء نظرية ابن جنّي، حيث إن هذه الدراسة مفتقرة إلى البحث ، مع أهميتها البالغة، لذلك يُنصح بتناول مثل هذه الموضوعات النفيسة بالبحث والدراسة لما فيها من الفوائد العظيمة الجليلة ، والله الموفِّقُ والهادي إلى سواء السبيل.

الهوامـــــــش:

1. الذهبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد، (1985م)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 103/17.
2. الذهبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد، (1985م)، مصدر سابق، 18/17.
3. هلال، عبدالغفار حامد، (2004م)، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط5، 195.
4. جبل، محمد حسن، (2006م)، علم الاشتقاق نظريًا وتطبيقيًا، مكتبة الآداب، ط1، 10.
5. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1913م)، الخصائص، المكتبة العلمية، ط1، 2/ 133، 134.
6. ابن زكريا، أحمد بن فارس، (1979م)، معجم مقاييس اللُّغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مادة: شق.
7. يَقصد الاشتقاق الصغير حيث يعمل فيه الاشتقاقيون على إرجاع الصيغ المُشتَقَّة من الأصل كلها إلى معنى واحد وهو المعنى الأصل الذي انحدرت منه هذه الصيغ.
8. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، (1913م)، مصدر سابق، المكتبة العلمية، ط1، 134/2.
9. معلوف، لويس، (1908م)، المنجد في اللُّغة، المطبعة الكاثوليكية، ط1، مادة: شق.
10. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، (1913م)، مصدر سابق، 135/2، 136، 137.
11. ابن زكريا، أحمد بن فارس، (1979م)، مصدر سابق، 32/2.
12. رضا، أحمد (1958م)، معجم متن اللُّغة، مادة: حرد.
13. أبو العزم، عبدالغني، المعجم الغني، مادة: دحر.
14. ابن منظور، محمد بن مكرم، (2003م)، لسان العرب، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، مادة: دحر.
15. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (2010م)، القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، مادة: درح.
16. مسعود، جبران، (1992م)، المعجم الرائد، دار العلم للملايين، مادة: درح.
17. ابن زكريا، أحمد بن فارس، (1979م)، مصدر سابق، 159/2.
18. ابن زكريا، أحمد بن فارس، (1979م)، مصدر سابق، 179/2.
19. ابن زكريا، أحمد بن فارس، (1979م)، مصدر سابق، 333/2.
20. الجواليقي، أبو منصور، موهوب بن أحمد، (1990م)، المُعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، ط1، 292، 293.
21. الجواليقي، أبو منصور، موهوب بن أحمد، (1990م)، مصدر سابق، 293.